١ تقسيم الحكم الإلهي:

- **الحكم الكوني:** تدبير الله المطلق للكون (الخلق، الأرزاق، الأقدار). وهو أمر لا يقع شيء إلا بمشيئته: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).
- **الحكم الشرعي:** الأوامر والنواهي التي أنزلها الله كمنهاج للحياة (الصلاة، الزكاة، إلخ). وهو ليس كونيًا، فقد يعصي الناس هذه الأوامر.

٢ النزاع في الحكم الشرعي:

- **المشركون في كل العصور لم يعارضوا الحكم الكوني**، لكنهم أنكروا الحكم الشرعي وشرّعوا لأنفسهم ما يخالف شرع الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٣٨)

٣ التحاكم إلى الله عبادة:

- **ربط يوسف عليه السلام الحكم بالعبادة:** ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (يوسف: ٤٠).
- **القبول بحكم الله جزء من التوحيد، كما في قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٤ رفض التحاكم لغير الله:

- **التحاكم إلى غير شريعة الله يُعد خضوعًا وعبودية لغيره:** ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ١٠).
- **الإيمان يكتمل بالإقرار بالحكم الكوني والشرعي معًا.**

٥ وجوب الاحتكام لشرع الله

- **من يشرّع مع الله أو يستبدل حكمه بحكم البشر يقع في الشرك:** ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١).
- **التحذير من المنافقين الذين يرفضون التحاكم لشرع الله:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١).
- **الواجب على كل مسلم الاعتقاد اليقيني بأن الحكم لله وحده ولا يجوز تبديله.**

٦ رحمة يوسف في إخفاء البلاء

- في تفسيره لرؤيا صاحبيه في السجن، لم يحدد من منهما سينجو ومن سيُصلب، بل اختار التلميح رحمةً بصاحب المصير المؤلم.
- درس: "انتظار البلاء بلاء قبل البلاء"، والرفق بالمشاعر أولى أحيانًا من الصراحة المطلقة.
  الرحمة تقتضي عدم مواجهة الشخص الضعيف بما ينتظره
- من بلاء إذا لم يكن في ذلك فائدة (مثال: الطبيب مع المريض).

٧ الرؤى وتفسير الأنبياء

- **تعبير الرؤى عند الأنبياء يقين لا يحتمل الخطأ:**
عندما فسر يوسف الرؤيا حسم الأمر: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾. تفسيره وحي من الله.
- **الرؤيا عند غير الأنبياء:**
حديث النبي ﷺ: "الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ".
نصيحة: الرؤيا السيئة تُكتم ويُستعاذ بالله منها، والحسنة تُعرض على من يُؤتمن.
- **بلاغة يوسف عليه السلام:**
أبلغ الذي سينجو سرًا حتى لا يزيد من معاناة المحكوم عليه.
- **معنى "الظن" في القرآن:**
في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾، جاءت كلمة "ظن" بمعنى اليقين، وليس الشك.
القرآن يستخدم الظن بمعانٍ متعددة: اليقين (﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾)، أو الظن الراجح، أو الوهم.
- **نسيان الساقي وتأخير الفرج:**
نسي الساقي وصية يوسف فلبث في السجن بضع سنين (٥ أو ٧).
هذا التأخير لم يكن عبثًا، بل لحكمة إلهية ليخرج يوسف بكرامة وسلطان.

٨ براءة يوسف من اللوم في طلب العون

- **هل طلب يوسف العون مخالف للتوكل؟**
لا، التوكل هو الأخذ بالأسباب المشروعة مع الاعتماد القلبي على الله.
طلب الشفاعة من الساقي كان أخذًا بالسبب المشروع لدفع الظلم.
صبره بعد نسيان الساقي له دليل على كمال توكله.
مقارنة بموقف النبي ﷺ في الهجرة (أخذ بكل الأسباب ثم توكل على الله).
- **مراتب أقدار الله وموقف الإنسان منها:**
١. قدر لا يمكن تغييره: (الجنس، العرق) -> الموقف: التسليم والرضا.
٢. قدر يمكن تغييره بالأسباب: (المرض، الفقر، السجن ظلمًا) -> الموقف: السعي في تغييره (وهذا ما فعله يوسف).
٣. قدر يجب تغييره: (المعصية) -> الموقف: التوبة الفورية.
- **تفسير ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾:**
التفسير الأرجح أن الضمير يعود على الساقي وليس يوسف (الشيطان أنسى الساقي أن يذكر يوسف للملك).
بقاؤه في السجن لم يكن عقابًا، بل جزءًا من تدبير الله لتمكينه.

٩ النسيان سلاح الشيطان والسجن منحة لا محنة

- الشيطان يُنسي الإنسان ذكر الله والآخرة ومصالحه. الحل هو التذكر الدائم (﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾).
- سجن يوسف لم يكن ذلًا، بل خلوة إيمانية وإعدادًا لمهمة أعظم.
- الله كان يحمي يوسف في كل مرحلة، فنقله من بيت أبيه إلى بيت العزيز ثم إلى السجن لحمايته وإعداده.
- السجن كان تحررًا له من قيود الدنيا، حتى استوت عنده القصور والزنزانة.
- عندما طُلب للخروج، لم يستعجل، بل طلب إثبات براءته أولاً: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ...﴾.
- لو خرج مبكرًا لربما عاد خادمًا، لكن الله أراد له أن يخرج عزيزًا.

١٠ النسيان سلاح الشيطان والسجن منحة لا محنة

- رؤيا الملك (سبع بقرات سمان وسبع عجاف...) كانت مفتاح خروج يوسف وتمكينه.
- عجز مستشاري الملك عن التفسير كان جزءًا من التدبير الإلهي.
- تذكر الساقي ليوسف في هذه اللحظة تحديدًا كان بتدبير من الله.
- **إحسان يوسف عليه السلام:**

  لم يعاتب الساقي على نسيانه.

  لم يشترط الخروج مقابل التفسير.

  فسر الحلم وقدم خطة اقتصادية لمواجهة الأزمة.

  وضع مصلحة الأمة فوق مظلمته الشخصية.

  قول النبي ﷺ: "لقد عجبتُ من يوسفَ عليه السلام، وصبرِه وكرمِه... ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترط أن يخرجوني".
- **إصرار يوسف على إثبات براءته:**

  رفض الخروج من السجن حتى يتم التحقيق في قضيته وتظهر براءته، مما يدل على عزته وكرامته.
- **نهاية الابتلاء:**

  بعد التحقيق واعتراف امرأة العزيز (﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾)، خرج يوسف عزيز مصر.

١١ حكمة يوسف عليه السلام: دروس في التدبير والإصلاح

- **إضافة يوسف بشرى لم ترد في الرؤيا الأصلية: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩)، كانت بوحي من الله لتثبيت مصداقيته ومنح الناس الأمل.**
- **دروس اقتصادية من خطة يوسف:**
  - لا تغتر بكثرة الدخل، وادخر للأزمات.
  - في الأزمات: ضاعف الإنتاج وقلل الاستهلاك.
- **دروس إيمانية:**
  - المصاعب قد تحمل في طياتها الخير.
  - الفرج يأتي بعد الشدة.
  - إذا كان الله يغيث من لا يعبده، فكيف بمن يتوكل عليه؟

١٢ الإحسان جوهر الالتزام الحقيقي

- **المحسن الحقيقي لا يتغير بتغير الظروف.**
- **شُهد ليوسف بالإحسان مرتين في حالتين متناقضتين:**
  - في السجن وهو مظلوم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٣٦).
  - على عرش الملك وهو قوي: (قيلت له نفس العبارة من إخوته في يوسف: ٧٨).
- **الالتزام الحقيقي سلوك ثابت في كل بيئة ومع كل الناس.**
- **القبول عند الناس هبة من الله للمخلصين (﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾).**
- **الدعوة الناجحة تبدأ بكسب القلوب بالإحسان قبل الكلام.**

١٣ حكمة يوسف في الدعوة إلى الله

- **عندما سُئل عن الرؤيا، لم يبادر بالإجابة بل استغل الفرصة للدعوة للتوحيد.**
- **ربط تفسير الأحلام بالرزق الإلهي والعلم الذي علمه الله إياه (﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾).**
- **نسب الإحسان دائمًا لله، فلم يقل إن الله أدخله السجن بل قال ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾.**
- **بدأ بالدعوة مباشرة بعد تهيئة القلوب: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾.**
- **استثمار الحاجة الدنيوية لمصلحة الدين:**
  - لا بأس أن يستغل الداعية حاجة الناس إليه (طبيب، مدرس) ليوجههم بلطف إلى الخير.